

القصة العربية في العصر الحديث بين الالتزام الإسلامي والإبداع دراسة وصفية تحليلية

The Modern Stories in Arabic between Religious Obligation and
Creativity: A Qualitative Analysis
*Cerita Arab Zaman Modern antara Pematuhan Agama dan Kreativiti:
Kajian Analisis Deskriptif*

نصر الدين إبراهيم أحمد حسين*

ملخص البحث

برزت القصة الإسلامية في العصر الحديث في صور إبداعية مختلفة من بين الفنون الأدبية المختلفة، وأصبح لها كتاب معروفون يتناولون هذا الفن بمقدرة واضحة، ويسهمون في ترسيخ مفهومها عن طريق نتاجهم الأدبي القصصي، أو كتاباتهم النقدية، وأياً كان مستوى القصة الإسلامية التي تصب في هذا السبيل، وأياً كان رأي الأوساط الأدبية فيها؛ فهي ظاهرة إيجابية جيدة ستثمر - إن شاء الله - وسيكون لها أثرها في ترسيخ المفهوم الإسلامي لفن القصة بخاصة، وللأدب الإسلامي بعامته، وستكون القصة الإسلامية شاهداً مهماً أمام دارسي التصور الإسلامي للأدب بين التصورات الأخرى، والدارس الأدبي الذي يهتمه تيار الأدب الإسلامي، ويهتمه أن يراه تميز بأصوله ومفاهيمه وأساليبه وعطاءاته ونتاجه؛ لا بُدَّ له من الإسهام الجاد المستمر في تقويم هذا النتاج وإبرازه والكشف عن مميزاته؛ لإضاءة هذه الساحة الأدبية الأصيلة أمام القارئ، ولإزاحة الأستار المصنوعة التي وُضعت لحجب هذا الأدب عن المجتمعات الإسلامية؛ إذ تحدف

* أستاذ دكتور بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا،

البريد الإلكتروني: nasr@iium.edu.my

القصة الإسلامية إلى إبراز الشخصية الإسلامية، والوجه الحضاري للإسلام، فالقصة الإسلامية فن أدبي له عناصره ومقوماته التي يجب أن تُلتزم، ويجب أن تكون للقصة غاية تتجاوز موضوع الترفيه، والأصح أن القصة ذات هدف توجيهي، بالإضافة إلى المتعة، وليست مجرد تعبير ذاتي.

الكلمات الرئيسية: القصة العربية، العصر الحديث، الالتزام الإسلامي، الإبداع الفني.

Abstract

The Islamic story telling has emerged in the modern world in various creative forms among other several art forms. Furthermore, there have appeared renowned writers of Islamic stories who engage this genre appreciating its remarkable values. They contribute to establish this genre through their particular narration of stories or critical writings. The Islamic story writing is a novel phenomenon which is likely to have –by God’s will– its own positive impacts to establish an Islamic perspective of literature in general, and of the story narration in particular, whatever is the amount of stories written and whatever the view of literary authorities towards them is. Moreover, the Islamic stories would probably become a significant witness of the perception of Islamic studies of literature among the other perceptions. Any learner of Arabic literature who bothers about the popular existence of Islamic literature and anyone who is concerned about its distinguishing principles, concepts, methods and distinctive results is supposed to contribute seriously to evaluate its products and highlight them. Such earnest contributions are meant to illuminate this original field of literature in front of the readership, to remove the overlays that have been fixed over this genre in order to hide up from the Islamic societies. Moreover, the genre of Islamic stories aims at the illustrating the personality of Islam and its civilizational aspect. Therefore, the Islamic stories is a unique genre of its kind with its own distinctive elements that must be followed. Another major obligatory feature of this genre is that it must appreciate certain values beyond a mere exercise of entertainment, since the stories, arguably, must be intuitive and instructive of values apart from a meagre individual narrative and enjoyment.

Keywords: Arabic stories, the modern era, Islamic obligations, the creativity in art.

Abstrak

Cerita Islamik pada zaman moden tertonjol dalam imej kreatif yang berbeza-beza antara seni sastera yang pelbagai. Lanjutan daripada itu, munculnya penulis-penulis terkenal yang menulis genre ini dengan kebolehan yang jelas dan menyumbang kepada pengukuhan konsepnya melalui hasil penulisan naratif atau kritis mereka, baik apa sahaja tahap cerita Islamik yang mengikut cara ini mahupun pendapat komuniti sastera terhadapnya; ia adalah fenomena positif dan baik yang bakal membuahkan – dengan izin Allah – kesan yang baik kepada pengukuhan konsep Islamik terhadap seni cerita secara khususnya, dan sastera Islam secara keseluruhannya. Di samping itu,

cerita Islamik merupakan bukti penting buat pelajar (yang mendalami) sisi pandang Islam dalam kesusasteraan di samping pandangan-pandangan lain dan pelajar sastera yang berminat dengan perkembangan sastera Islam dan berminat untuk melihat (bagaimana) sastera Islam berbeza dari pada prinsip, konsep, metode, tawaran dan karyanya. Usaha yang berterusan wajar dilakukan dalam menilai karya cerita Islamik, menonjolkannya dan menerangkan kelebihan-kelebihannya; untuk mencahayai lapangan sastera autentik ini buat para pembaca dan membuang tabir-tabir yang direka untuk menutupnya daripada komuniti muslim. Ini kerana cerita Islamik dihasilkan untuk menyerlahkan personaliti muslim dan gambaran ketamadunan Islam. Selain daripada itu, cerita Islamik merupakan seni sastera yang mempunyai unsur-unsur dan komponennya yang tersendiri yang mesti dipatuhi. Justeru, cerita Islamik mestilah dihasilkan lebih daripada sekadar untuk tujuan berhibur dan lebih tepat dikatakan bahawa cerita Islamik mesti bertujuan untuk memberi nasihat disamping menghibur, bukan hanya ekspresi diri semata-mata.

Kata kunci: Cerita Arab, zaman moden, pematuhan agama Islam, kreativiti seni.

مقدمة

بدأت موجة استخدام الأدب والفن في محاربة الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ على يد شعراء الكفر الذين استغلوا موهبتهم الشعرية في نظم القصائد التي هجوا بها الرسول ﷺ، وتناولوا بها على الإسلام وشريعته، وقد اتسعت هذه الموجة في العصر الحديث عندما سقطت أساليب الغرب في محاربة الإسلام أمام موائد البحث العلمي، ولم يبق من هذه الأساليب سوى الأسلوب الأدبي، فالقصة أو المسرحية تعطيهم فسحة واسعة في هذا المجال، وهذا الأسلوب نجح إلى حد ما في تشويه الإسلام بإفراح الطريق لمذاهب ليس للإسلام فيها أي نصيب، ومن هذه المذاهب خرجت السحب الداكنة لحجب النظرة الإسلامية، ودوّنت القصص المليئة بالهزل والسخرية؛ نظرًا إلى أن هذا النوع له مفعول أكيد في موات القلوب، وطمس روح الإيمان.¹

ومن هذا المنطلق كان لا بُدَّ من ظهور طبقة من الأدباء مناصرة الحق، ملتزمة الكلمة الراقية السامية، بهدى الإسلام، وهدي الرسول ﷺ، هذه الطبقة أرادت أن تؤكد

¹ أبو زيد، أحمد، الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية، دعوة الحق، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم

أن الأدب الخالي من الإطار الإسلامي لا يمثل قيمة أدبية، بل هو أدنى أنواع الآداب؛ إذا حسبناه أدباً؛ لذا كان الالتزام والإبداع عنصرين مهمين لا بُدَّ من وجودهما في الأدب الجاد الذي يعكس مرآة المجتمع بصدق الكلمة التي تنبع من مشكاة إسلامية تعكس سماحة الإسلام، مع التعبير الأدبي الرائع، والفن المبدع، والإبداع الفني.

إشكالية الالتزام

1. الالتزام في اللغة:

قال ابن منظور: "والفعل: لزم يلزم، والفاعل: لزم، والمفعول به: لزم الشيء يلزمه لزمًا ولزومًا، ولازمه لزامًا، والتزمه، وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لزمه: يلزم الشيء فلا يفارقه"¹، ومنه (الالتزام) مصدر الفعل (التزم)، وهذا الفعل من مادة الفعل الثلاثي (لزم) على وزن (فعل) بكسر العين، "والإلزام التبكيت، واللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، والجمع (لوازم)"².

ومن ثم الالتزام في اللغة هو التعلق بالشيء، والمداومة عليه، وعدم مفارقتها؛ رغبةً فيه لا إكراهًا عليه، أما الإلزام فالمداومة فيه يصحبها إكراه وتبكيت، وعدم الرغبة يظهر هنا واضحًا، ويكون الالتزام قائمًا بين طرفين برضائهما وموافقتهما، عكس الإلزام الذي يقوم على تسلُّط أحد الطرفين على الآخر، مما يؤدي إلى عدم الرضا واختلاف الآراء ووجهات النظر.

2. الالتزام في الأدب بعامة:

الالتزام في المصطلح الأدبي "أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد، أو مبدأ من المبادئ، أو فلسفة من الفلسفات"³، وإن كان يرى د. محمد غنيمي هلال -

¹ ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ت)، مادة (لزم).

² الزبيدي، تاج العروس، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، مادة (لزم).

³ الحنين، ناصر، الالتزام الإسلامي في الشعر، (الرياض: دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، ط1،

عند حديثه عن الواقعية الاشتراكية والوجودية - أنه "يراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"،¹ أما الروائي الأمريكي المعاصر (نورمان مالر) فقد فسره "بأنه نوع من التعاقد أو الارتباط بشيء خارج الذات"،² فالالتزام الأدبي إنما يعبر عن التزام الأديب تجاه عقيدة أو فكر أو مذهب أو اتجاه معين؛ يدافع عنه ويتمسك به؛ رغبةً فيه وحباً إياه.

والالتزام هو الخاصية الجوهرية للأدب الإسلامي، ونحن حينما نتحدث عن الالتزام نعيّ تأمناً أن هذه الكلمة تنصبُّ في الدرجة الأولى على التصور الإسلامي بمقوماته وخصائصه، ولكن هذه المقومات والخصائص ليست أعباء أو قيوداً تحمّل الأديب فوق طاقته، وتقصره على لون معين من ألوان التعبير، وتحمله على التكلف والتعمل، بل تبدو إطاراً عاماً يتسق مع الفطرة السليمة، ويحول بينها وبين الانحراف عنها، فتفسد الطباع، ويصبح الأدب الصادر عنها شكلاً من أشكال التعبير المرضي، فالالتزام هو المشاركة في القضايا السياسية والاجتماعية، ويعني التقرير والمشاركة والمسؤولية، وأكثر ما تطلق هذه الكلمة على المثقف من المفكرين والكتاب والفنانين؛ لأن الموقف الذي يتخذه المثقفون يكون له أهمية تفوق سائر فئات المجتمع، والالتزام بمعناه الاصطلاحي يقتضي الثبات والوضوح والصراحة والصدق وتحمل التبعات والمسؤوليات، والالتزام يهدف التغيير، ومن قبل التغيير الفهم والكشف عن عورات الواقع، والأديب الملتزم يؤمن بدور الكلمة، إذ تتحول الكلمة إلى طليقة، لذا لا بد من أن تتمكن منه شهوة إصلاح العالم فهو يجيأ فيه، ويتفاعل معه، وينغمس في لجته.³

والالتزام الفني والجمالي أمر ضروري، فلا بد من توفر مقومات التشكيل الفني

¹ هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، (القاهرة: دار تحفة مصر للطبع، د.ت)، ص484.

² عوض، لويس، الاشتراكية والأدب، (بيروت: منشورات الآداب، ط1، 1963)، ص180.

³ الشنطي، محمد صالح، في الأدب الإسلامي قضايا وفنونه ونماذج منه، (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع،

الجمالي، ولا بد من أن تكون الرؤية صادرة عن هذا التشكيل، ومن هنا يصبح الالتزام بالأصول الفنية للأدب بفنونه وأجناسه ضرورياً، فالشاعر لا بد من أن يراعي أصول هذا الفن، ولا بد من أن يكون ذا موهبة، واسع الثقافة، مرهف الحس، مواكباً ما طرأ على هذا الفن من تطورات ليستغل كل ما من شأنه خدمة أهدافه من خلال فهمه الأدوات الفنية، وإدراكه طبيعتها لاستغلالها وتوظيفها، وبالنسبة إلى كاتب القصة القصيرة يفترض أن يصدر عن استيعاب قواعد هذا الفن، ومراعاة أصوله الجمالية، والاستفادة من منهج القصص القرآني الذي يقدم لنا أنموذجات رفيعة المستوى لا يرقى إليها الجهد البشري، والدارس المتفحص لهذا المنهج يكشف أنه يقدم لنا أسلوباً في التصوير والمعالجة من شأنه أن يرقى بالحاسة الجمالية لدى كاتب القصة إلى أقصى درجة، ويستطيع كاتب القصة القصيرة الإسلامية أن يستفيد من منجزات الأدب الإنساني في هذا المجال، وتطويعها لإبراز رؤيته، إذ يفترض في الأديب المسلم أن يكون واسع الأفق لا يتغلق من دون الآخرين، ولا يرفض الاستفادة من تجارب الآخرين ما دامت لا تمس عقيدته من قريب أو بعيد.

3. الالتزام الإسلامي في العمل الأدبي:

وقع خلاف حاد في هذه القضية، ولا سيما أنها نظرية أدبية وُلدت في ظروف سياسية جديدة، وأصبحت في طليعة قضايا النقد الأدبي الحديث، ولا نريد أن نطنب في الموضوع، فنوسع من شأنه، ونبحث عن الالتزام عند الشيوعيين، والوجوديين، والرأسماليين، فهذه قضايا دُرست ومُحَصِّت في دقة،¹ ولكن نقف عند الالتزام الإسلامي. اختلف بعض الأدباء والباحثين في كيفية الالتزام؛ أيكون التزام الشخصية فقط، أم التزام النص فقط من دون الشخصية، أم التزام النص والشخصية في آن معاً؟ أي: هل العبرة فيمن يقول، أو فيما يقال، أو في كليهما؟

¹ يُنظر: الحنين، الالتزام الإسلامي في الشعر؛ خفاجة، محمد عبد المنعم، النقد العربي الحديث ومذاهبه، (القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة، 1975)؛ طبانة، بدوي، قضايا النقد الأدبي، (دم: المطبعة الفنية الحديثة، 1971).

فمن يلتزمون النص يرون أن الإسلام رسالة عالمية إلى البشر كافة؛ لقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، فلا ينبغي أن يضيق شيء يمكن أن يتسع للبشر كافة، عسى أن يهديهم الله ﷻ في يوم من الأيام، فهناك كُتَّاب غير مسلمين كتبوا في الإسلام كتابات قيمة ممتعة ومفيدة، ومن هؤلاء (حورجي زيدان) صاحب سلسلة (روايات الهلال) الذي ألف كثيراً من الكتب والروايات في الإسلام، ويرى د. سعد أبو الرضا "أن في هذا المنحى (التزام النص والشخصية) تضييقاً لمجال يجب أن يتسع، فالنتاج الأدبي الذي يصدر عن الإسلام وقيمه أعم وأشمل من أن يختص بالكتاب المسلمين، فقد رأينا كُتَّاباً غير مسلمين حاولوا تمثل هذه المبادئ فيما يدعون، وربما كان ذلك سبيلاً لهدايتهم، ونذكر هنا - على سبيل المثال لا الحصر - كتاب (محمد الرسالة والرسول) للدكتور نظمي لوقا، ويمكن أن تلتقي مثل هذه الكتابات مع أدب المقالة الإسلامية طالما كانت صياغتها جمالية، وليس في ذلك خلط بين التاريخ كعلمٍ والأدب كفنٍّ".¹

أما من يلتزمون الشخصية فيرون أن فاقد الشيء لا يعطيه، فغير المسلم لا يستطيع أن ينتج أدباً إسلامياً خالصاً؛ لعدم إمامه العميق بالإسلام وما يحيط به، فالشخصية المسلمة التي سلمت روحها ونفسها للذات العلية، وتطهرت من دنس الحياة الدنيا، هي الوحيدة التي يمكن أن تبعد أدباً إسلامياً خالصاً، ولكن الواقع أحياناً يؤكد أشياء أخرى، فإذا ما نظرنا إلى أدبنا العربي ماضياً وحاضراً وجدنا أمثال: أبي نواس، وعمر بن أبي ربيعة، من المسلمين، إلا أن أشعارهما لا تدل على ذلك، وأيضاً في العصر الحديث شعراء مسلمون غير ملتزمين في أعمالهم الأدبية بالإسلام، من مثل: نزار قباني، وصلاح عبد الصبور، وعبد الوهاب البياتي، وفي القصة هناك: نجيب محفوظ، ويوسف السباعي. أما من يلتزمون النص والشخصية فيرون أن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان الشخص

¹ أبو الرضا، سعد، الأدب الإسلامي قضية وبناء، (جدة: عالم المعرفة، ط1، 1983)، ص10.

يفتقد المعايير والأسس الإسلامية؛ لم يستطيع أن يبدع أدبًا إسلاميًا، كما يرون أن الالتزام واضح في قول الله ﷻ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ * أَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: 224-227).

4. مفهوم الالتزام الإسلامي في الشعر:

يرتكز هذا المفهوم في الشعر على مقومات؛ هي:

1. أن الإسلام دين الالتزام بعامه، إذ معناه الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: 125)، فالعبادة من قول وفعل إنما هي لله وحده من دون سواه، والالتزام بذلك وعدم مفارقتها جوهر الإسلام وحقيقته الصادقة؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَرَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: 162-164)، فالآية الكريمة ضمت إلى الصلاة والنسك سائر ما يعمله المسلم في حياته، وأوضحت أنه عبادة كله؛ إذا وافق الشرع، وأن العبد يصرفه لربه، ويرجو به رحمته، فلم يستثن من ذلك الشعر أو غيره من أفعال المسلم وأقواله، وإنما شمله العموم.

2. أن المسلم - شاعرًا كان أم غيره - يدين لله ﷻ بأقواله وأفعاله؛ فصلاح الأقوال أو فسادها يترتب عليه ثواب الآخرة أو عقابها، فكما أن المسلم ملتزم بحكم إسلامه لا يقدم على فعل شيء إلا بعد التريث والتثبت، والمسلم في سائر أقواله - سواء أكانت شعرًا أم غيره - ينبغي له أن يلتزم فيها منهج الإسلام؛ لأنه سيُسأل عنها أمام الملك الديان، فإن كان في مرضاة الله أقدم عليه، وشمر له عن ساعديه، وإن كان في سخطه أحجم عنه، وانصرف إلى ما هو خير منه؛ فكذلك الحال يُثاب عن خيرها ويُعاقب على

شرها، والأدلة من القرآن كثيرة؛ كقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُؤَلُّوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۷۰﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70-71).

3. أن الكون المنظور - ما بدا منه وغاب - من سموات وأرضين، وما فيهن من جبال وأهجار وأشجار وبحار وليل ونهار؛ لا تفتقر عن تسيححه، ولا تنفك عن تنزيهه، على حد وصفه ﷺ إياها بقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: 44)، وكما أن المسلم يدين لله بالإسلام؛ فكذلك سائر المخلوقات مسلمة له ﷺ منقادة لأمره إذا أراد منها شيئاً؛ قال ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: 117)، فوافق المسلم في وجهته سنة الكون وفطرته، فالجميع مسلم لله، ملتزم له؛¹ لذا قال ﷺ: ﴿أَفَعَبِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: 83).

إذا؛ لم يكن الشاعر المسلم بدعاً بالتزامه، وليس غريباً هذا الالتزام، وإنما هو موافق سنة الله في الحياة، وإذا جاء تصوير الشاعر وقع الأشياء على وجدانه من خلال هذا المفهوم الذي مكّنه الإسلام في نفسه وأوقعه في قلبه؛ فلا ريب في أن هذا هو الالتزام بعينه، وهو ينبثق من دين الإسلام وعقيدته، ومن رغبة الشاعر المسلم في مرضاة خالقه وطمعه في ثوابه وخشيتيه من سخطه وعقابه، ثم لا يضير بعد ذلك شكل شعره أو صورته ما دام المضمون حقاً، أو على الأقل لم يكن فسقاً، بل إن إتقانه فنّه الشعري وتحبيره إياه، وإبداعه فيه مما يأمره به إسلامه، ويُقرّبه إلى الله زلفى؛ فقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ الْعَمَلَ أَنْ يُتَّقِنَهُ».²

والشعر الإسلامي إبداع في الشكل والمضمون، فالمضمون لا بُدَّ من أن يصحبه

¹ يُنظر: المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1395هـ/1975م)، ص4.

² يُنظر: العجلوني، إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ص74؛ الحنين، ناصر، الالتزام الإسلامي في

قال فني بديع مبدع يتغنّى بقيم الإسلام وتصوراته عن طريق الكلمة المبدعة الموحية، وعليه، فإن جمال الشكل وروعة التصوير ضرورة تقتضيها الكلمة الطيبة؛ قال ﷺ: ﴿كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: 25).

إذا؛ الالتزام الإسلامي يعني الصدور عن إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، فهو ينهض عن البعد من كل ما من شأنه المساس بالعقيدة في التعبير، والعمل على خدمة الإسلام في إطار جماليات الأدب وتقنياته وطبيعته من دون تقرير أو وعظ وبحرية؛ إذ إن الإسلام لا يصادر النوازع الذاتية، ولا يؤطر السلوك الإنساني بإطار من المحرمات كما يدعي الآخرون الذين يتحدثون عن المنوعات التي تُكبل الفرد وتمنع من انطلاقته، فالأصل الإباحة؛ أي الحرية ما دام لم يرد نصٌ يقضي بالتحريم، وهذا التحريم يراعي فطرة الإنسان ومصالحه وصحته النفسية والعقلية والجسدية، وقد عاقب الإسلام الشعراء الذين اعتدوا على المحارم، وقاربوا الحدود، وقذفوا المسلمين، وسلقوهم بألسنة حداد؛ كما يدخل في إطار الالتزام الخلقى والعقدي كل ما من شأنه البعد عن الموبقات، وتزيين السقوط والتماس ما يُغضب الله ويخالف شريعته، وأما ما عدا ذلك فللأديب المسلم أن يتحرك بحرية مصورًا خلجاته ومشاعره وتجاربه في غوص عميق إلى جوهر واقعه وفهمه وتحليله، والنفاد إلى جوهره، فالإسلام يدعو إلى الفهم العميق لواقع الإنسان، والأدب الإسلامي منفتح في إطار الواقعية بمفهومها الإسلامي الموضوعي، وهي أساس الالتزام العقدي والخلقي.

ليس الأدب الإسلامي ذلك الوعظ والإرشاد المباشر، وإلا خرج من دائرة الآداب الرائعة الخالدة التي سطرها التاريخ بأحرف من نور، فالأدب الإسلامي فنٌّ رائع سامٍ، لأنه يقتبس نوره من الإسلام الذي أشرقت بنوره الأرضين، وأرى أن قضية الالتزام بالنص قضية مرحلية - في الأدب الإسلامي الحديث - لا بد منها الآن، تليها مباشرة قضية التزام النص والشخصية معًا، وذلك بعد أن تتضح الرؤية وتتبلور الصورة وتتكامل النظرية

من جميع أطرافها وأجزائها، وتحشد النصوص الأدبية الرائعة التي تمثل أدبًا إسلاميًا مبدعًا من روح وشخصية تنبضان بالإسلام وتلتزمان مبادئه انتماء ووعيًا، عندئذ نستطيع أن نرفع شعار الالتزام بالنص والشخصية.

القصة الإسلامية

1. مفهومها:

برزت القصة الإسلامية في العصر الحديث في صورة إبداعية مختلفة من بين الفنون الأدبية المختلفة، وأصبح لها كُتّاب معروفون يتناولون هذا الفن بمقدرة واضحة، ويُسهمون في ترسيخ مفهومها عن طريق نتاجهم الأدبي في القصة، أو كتاباتهم النقدية، وأيًا كان مستوى القصة الإسلامية التي تصبُّ في هذا السبيل، وأيًا كان رأي الأوساط الأدبية فيها؛ تُعدُّ ظاهرة إيجابية جيدة ستثمر إن شاء الله، وسيكون لها أثرها في ترسيخ المفهوم الإسلامي لفن القصة بخاصة، وللأدب الإسلامي بعامه، "وستكون القصة الإسلامية شاهدًا مهمًا أمام الدارسين عن التصور الإسلامي للأدب بين التصورات الأخرى، والدارس الأدبي الذي يهيمه تيار الأدب الإسلامي، ويهيمه أن يراه وقد تميز بأصوله ومفاهيمه وأساليبه، وتميز بعباءته ونتاجه، لا بُدَّ له من المساهمة الجادة المستمرة في تقويم هذا النتاج وإبرازه والكشف عن مميزاته لإضاءة هذه الساحة الأدبية الأصيلة أمام القارئ، وإزاحة الأستار المصنوعة التي وُضعت لحجب هذا الأدب عن المجتمعات الإسلامية".¹

تهدف مهمة القصة الإسلامية إلى إبراز الشخصية الإسلامية والوجه الحضاري للإسلام، فالقصة الإسلامية فن أدبي له عناصره ومقوماته التي يجب أن تُلتزم، ويجب أن يكون للقصة غاية تتجاوز موضوع التسلية والترفيه، والأصح أن القصة ذات هدف توجيهي، بالإضافة إلى المتعة، وليست مجرد تعبير ذاتي محض، ولا يتوقف الأدب

¹ بريغش، محمد حسن، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1،

الإسلامي في نظرتة إلى القصة مع الواقعيين الانتقادين الذين يرون الحياة رذيلة كلها، وهي نظرة سوداوية نشأت في أحضان الواقعية الأوروبية، فالحياة ليست حقل تجارب ينفث فيه المأساويون من روحهم المريضة فيخرجون على الأعراف والتقاليد، ويسجلون انحرافاتهم الفكرية والنفسية.

ويحاول بعض الكُتّاب الإسلاميين أن يضعوا إطارًا صارمًا للقصة الإسلامية، فيعرفونها بأنها "الأداء المحكم المؤثر الذي يركز على العبرة، وذلك في إطار جمالي محبب لا مثيل له، وهو ما يسمى بـ(الجمالية) أو (المتعة الفنية)، وهي وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية، وأن على كاتب القصة الإسلامية أن يستوعب عصره استيعابًا يقظًا دقيقًا... وفي فن القصة بالذات هناك مجال رحب لكي يخط القصص المسلم طريقه؛ يخطه بثقة وثبات وأصالة، يأخذ من معين المعجزة الخالدة، ومن معين تراث النبوة الخالدة، ومن معين تراث الأجداد، ومن معين التجربة الإنسانية الواسعة، ويخضع ذلك كله للتصور الإسلامي الذي يحدد الهدف، ويبدع الوسيلة المناسبة، وعندها لا يهمننا الركام الضخم من الإبداعات الأخرى، ما دامت في حوزتنا مواهب فنية حقيقية، وتجربة أدبية غنية، وتصور إسلامي واسع وصحيح، لا يعيش على حواف الإسلام، وفي أطر شكلية فقط، أو عبر منعطفات فكرية باسم الإسلام".¹

الحقيقة أن مشكلات العالم الإسلامي اليوم لا تتجزأ، والمسلم من ينبغي له أن يبحث عن حل لها، والكاتب المثالي من يشارك مجتمعه في همومه ومشكلاته، لا من يتعد عنه وينفر منه، فالكاتب الحق من يتفاعل مع مجتمعه، ويحاول أن يثير قضاياها، ويسهم في حلها، ومن ثم لا وعظ ولا إرشاد ولا أدب تعليميًا، كما ذهب الدكتور الشنطي، بل إن الدكتور نجيب الكيلاني نجح في مجال القصة الإسلامية نجاحًا باهرًا يشار إليه بالبنان، ولم يكن أدبه أدب وعظ وإرشاد، بل كان أدبًا هادفًا، فهو أدب إبداع وإصلاح.

¹ نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992)، ص 22.

كما أننا لا بُدُّ من أن نؤكد أن الأدب الإسلامي، يستمد أمثلته من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لنسبته إليهما، ولا عيب في ذلك، فالقرآن الكريم هو قمة البيان والبلاغة، وكذلك الحديث النبوي الشريف، فلا غضاضة أن يكونا أنموذج الأدب الإسلامي، ولا سيما القصة الإسلامية، فالقصص القرآني يسمو فوق القصص البشري، وأنموذجاته غاية في الرقي والإبداع، ولا مقارنة في ذلك، بل إننا من دون شك نتعلم منها كثيراً، ومن وسائلها وأنماطها المختلفة، وبذلك هي أنموذج للقصص الإسلامي في العصر الحديث، ولكن يبدو تعليق الدكتور الشنطي عن استخدام القصة القرآنية بوصفها أنموذج القصص الإسلامي غير واضح المعالم، فأحياناً يقبل، وأحياناً يشعر بالرفض الصريح؛ يقول: "إن ما قدمته القصة القرآنية من نماذج حية لتعتبر غاية في الرقي والإبداع المعجز الذي يمكن أن نتعلم منه الكثير، وليس هذا موضع بحث في القصة القرآنية، ولكننا نعود فنقول إن القصة القرآنية لا ينبغي أن تقارن بما يقدمه البشر، وكذلك القصة في الحديث الشريف، ونحن نعتد بترائنا في هذا المجال، ذلك التراث الذي صنعه يد البشر، وأنتجته قرائحهم، وبمكنا أن نستفيد منه كثيراً في تطوير فن القصة الإسلامية من الناحية الجمالية"¹ وقد أشار الدكتور الشنطي ههنا إلى نقطتين مهمتين أتفق فيهما معه:

إحدهما موضوع الكذب في القصة الإسلامية، وكيفية معالجة ذلك؛ إذ ذكر أن كاتب القصة لا يلجأ إلى الكذب، بل يأخذ من الواقع، ويمتاز من الخيال، وهو يتمثل ما يشاهده وما يحس به، ثم يشكل ذلك في صور فنية؛ لذا فإنه من الظلم بمكان وصف ما يصفه القاص بأنه كذب، ولا أظن أن الأديب الإسلامي من السذاجة والغفلة وقلة الحيلة بحيث يختلط عليه الأمر فلا يميز بين الكذب بمعناه الأخلاقي وبين الخيال بمعناه الفني، والقاص المسلم أوسع أفقاً.

والأخرى مسألة المجاهدة بين القصة الإسلامية وغير الإسلامية، فليست هي محور الاهتمام الآن، وإنما المحور الرئيس تأصيل القصة الإسلامية جمالياً وفنياً، وعدم الانشغال

¹ المرجع السابق، ص 319.

بمعارك جانبية لا طائل تحتها في الوقت الحاضر، كذلك فإن التمييز بين القصة الإسلامية والقصة التي لا يضيق بها الإسلام ليس أمرًا ضروريًا فما دامت قصة لا تخرج على الرؤية الإسلامية، وترتبط ارتباطًا حيًا صادقًا، فهي تدخل في هذا الإطار.¹

تكمن مسألة العمل الفني في الصدق الفني الذي يشعر به الأديب في أثناء تجرته الذاتية والشعورية، وما ينبع من أعماقه وأحاسيسه؛ لأنه عمل في لا عقيدة سماوية منزلة؛ لذا ينشد حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ:

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائِلُهُ لَبِيتُ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ: صَدَقَا
وإنَّما الشَّعْرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ على المَجَالِسِ إنْ كَيْسًا وإنْ حَمَقَا

وفي اعتقادي أن القصص غير الإسلامي لا يحتاج إلى تمييز أو مقارنة؛ لأن البون شاسع بين العمل الإسلامي والعمل غير الإسلامي، فكل نص لا يخالف الإطار الإسلامي فهو بطبيعته إسلامي.

2. آفاقها:

تمتد هذه الآفاق إلى ما لا حدود، بل إلى أبعد ما يملكه الكاتب من القدرة على التفكير والتوليد والتخيل، وفهم تجربة الحياة الإنسانية، ودراسة أوضاع المجتمعات، ورؤية الحقائق، واستشفاف آفاق المستقبل؛ لذا كانت آفاق القصة الإسلامية أوسع وأبعد من آفاق القصص الأخرى، فهي من حيث الموضوع "تمتد لتشمل كل مناحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والفنية، وهي من حيث الاتساع والدقة تمتد إلى دقائق الحياة النفسية، وإلى همسات النفس ولواعجها وعواطفها وألوانها، ثم تتسع لتشمل تجارب الأجيال، ومسيرة الحياة منذ آدم وإلى يوم البعث، وهي من حيث الشمول تشمل كل قضايا الحياة الإنسانية في الماضي والحاضر والمستقبل، من دون تمييز بين الأبيض والأصفر والأحمر والأسود؛ والرجل والمرأة، وهي من حيث الهدف ترتقي إلى آفاق القيم السامية

¹ الشنطي، في الأدب الإسلامي، ص 318-319.

والأخلاق الإسلامية الطاهرة، وإلى الدفاع عن كرامة الإنسان التي قررها خالق الوجود، وإلى التجرد، وإحقاق الحق، ونصرة الخير، وإشاعة الطهر، وحب الحياة، والمساواة، وهي من حيث الوسيلة تسلك السبيل النظيف؛ لأنها تعبر عن النظرة السوية، ولا تقع في التناقض الذي وقعت به الدعوات والمذاهب الأدبية المختلفة بين: المناذاة بالأهداف اللامعة، وسلوك الوسائل المخزية، وتبرير السقوط بشتى المبررات الواهية أو السيئة، وهي من حيث الإتقان تنشئ التفوق والجمال والإحسان؛ لأن الله يحب من المسلم أن يتقن عمله، ويكون في سمته حسن، ومظهر جميل؛ لذا كانت رحابة الآفاق أمام القصة الإسلامية أوسع مدى في الزمان والمكان والعمق من أي آفاق أخرى".¹

3. موضوعاتها:

من البديهي ألا تفارق هذه الموضوعات الإطار الإسلامي، فالإسلام منهج متكامل ودستور شامل الإنسانية من رب الناس ﷺ، فهو معرفة وإدراك وسلوك ومبادئ وعقيدة وأسلوب؛ لذا يتحتم على الأديب المسلم أن يفهم منهج الإسلام فهمًا واعيًا شاملاً يغطي المساحات التي يفكر فيها في إطار موهبته القصصية، ويمده بالرؤية الواضحة للحياة حوله، وله أن يمتلك القدرة الفنية والرؤية الإسلامية الواضحة التي تجعله يعرف كيف يختار موضوعاته، وكيف يبرز أحداث القصة، وكيف يخدم القيم العليا للإنسانية التي يحرص ويسعى إليها دينه، تلك القيم اللانهائية.

ويرى د. عبد الحميد بوزوينة أن "الموضوع هو القضية التي تنبني عليها القصة كلها، وهي تتطلب من الأديب تحليلاً عميقاً لجوانبها، وكشفاً مفصلاً لخباياها، ووضع حلول حقيقية لما تطرحه من مشكلات، وقد تتضمن القصة أكثر من قضية، لكن يشترط أن يجمعها خيط واحد يمثل القضية الرئيسة، وأمام الأديب موضوعات كثيرة تنتظر منه أن يعالجها معالجة فنية صائبة بعد أن يستقيها من المحاور الثلاثة سالفة الذكر"²، ويرى

¹ الشنطي، في الأدب الإسلامي، ص14.

² بوزوينة، عبد الحميد، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، (عمان: دار البشير، ط1، 1411هـ/1990م)، ص122.

الأستاذ محمد حسن بريغش أن "موضوعات القصة الإسلامية كثيرة... لأنها تؤخذ من الحياة ذاتها من حياة الإنسان الفرد، المرأة والرجل، من حياة الطفولة والشباب، من حياة الشيخوخة، من الأسرة والمجتمع، من التفاعلات بين أطراف المجتمع... من مواجهة الإنسان لقضايا العصر وتطوراته، من الصراع الدائم بين الحق والباطل على كافة الأصعدة وفي مختلف الأمور من قضايا المجتمع الكبيرة، ومشكلات الإنسان المتعلقة بحريته وكفائته وسلامته وأمنه... ومن كفاح الشعوب ضد ظالمها من المستبدين والمستعمرين، من رحلة الإنسان، لاكتشاف نواميس الكون، والصعود في مجال الاختراعات والاكتشافات والمغامرات، ومن تجارب الأمم والشعوب والأفراد عبر التاريخ، من عالم الإنسان، وعالم الحيوان، من الطبيعة، وعلاقة الإنسان بها، وآثار تبعه فيها... إلخ، ومن ثم يمكننا أن نقسم هذه الموضوعات إلى عدة محاور؛ القصة التاريخية، والقصة الاجتماعية، والقصة السياسية، ثم القصص الخاصة بالأطفال، وهي تحتاج إلى بحث خاص؛ لأن عالم الأطفال يختلف عن عالم الكبار، وأن يعطى من الأهمية ما يجعل أطفالنا في منأى عن تأثيرات الآخرين التي تريد لهم الانحراف".¹

4. بناؤها الفني:

يخضع هذا البناء للاجتهادات والقدرات الخاصة لكل كاتب، وهو فن من الفنون التي لاقت تطورات مختلفة في مسيرتها الطويلة؛ سواء في طريقة عرضها أم في طرق الحوار أم في شخصياتها أم في موضوعاتها، ولا ينبغي أن نقيّد الأديب المسلم بهذه الأطر الفنية التي لم يتقيد بها أو بمعظمها أديبنا في العصر الحديث، بل نطلق له العنان، والحريّة الكافية لاختياراته المختلفة من حيث الأسلوب الذي يلائم مادته، أو المضمون الإسلامي المناسب، أو إبراز الشخصية المتميزة للكاتب من خلال ذلك الأسلوب، وليس المعنى من هذا أن هذه دعوة إلى إهمال القوالب الفنية في العمل القصصي، وإنما لتكون

¹ الشنطي، في الأدب الإسلامي، ص18.

للقصة الإسلامية خاصيتها وتراكيبها ومصطلحاتها وروحها وإحساساتها وإيقاعها، وصورها المتميزة، إذن؛ لا يمكن في أي حال إهمال الإطار الإسلامي.

5. لغتها وأسلوبها:

من حيث اللغة ومرونتها وقدرتها على التوالد لا شك في أن اللغة العربية تُوفّر رصيلاً هائلاً للكاتب المبدع، واليسر مهم في هذا المجال، والوضوح والسلاسة، مع السلامة اللغوية، وجمال العبارة، ورشاقة الأسلوب، والموسيقا الناعمة، واختيار الكلمات الرنانة التي لها وقع في الأنفس المتذوقة للأعمال الأدبية، وعن الأساليب المتبعة، والبُعد من الأساليب العامية المبتذلة؛ إذ "ليست اللغة في هذه النصوص أسماء لمسميات، وإنما هي إمكان يختزل ارتداداً، ولكل أطوار التاريخ التي علقت بها لتصحيح أحاسيسنا على بناء البدايات ونقائها حتى لكأن الكتابة الحق في جوهرها صراع مع ذاكرة اللغة، ومحاولة إقصاء ما علق بها من تجارب الآخرين ومعها، والرجوع بها إلى هذا الزمن السحيق لتتم للكاتب لذة التفرد ومتعة الامتلاك لها نقية بكرة لم يمسه أحد قبله، معه تكشف وجودها، وفي رحاب ما كتب يبدأ تاريخها، هكذا تكون الكتابة تأسيساً على نقض وإثباتاً بإقصاء؛ إن كل جيل وكل عنصر يقرأ النص بشروط إنتاج المعنى في زمانه، ولا يستمد من النص إلا ما له به حاجة، وهكذا لا يموت النص، ولا يمكن للتاريخ أن يستنزف إمكانية الدلالة المرسومة فيه؛ لأنه أكبر من التاريخ في معنى من معانيه فناء عطاء وموت، والنص خلود ومغالبة للموت وسعي إلى المطلق"¹، ولا ننسى أننا نتعامل مع لغة تحمل بصمات قرآنية وحديثية، هي لغة القرآن الكريم الذي فاق طوق البشر.

وأسلوب القصة هو الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه الفنية، والوسائل التي يمتلكها الكاتب هي الشخصيات والحوادث والبيئة، وتأتي بعد ذلك الخطوة الأخيرة، وهي جمع هذه الوسائل في عمل فني كامل،

¹ يُنظر: فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، (القاهرة: دار عالم المعرفة، ط1، 1994).

وعندما ندرس أسلوب الكاتب، أي الوسيلة الأدبية التي يختارها؛ ندخل إلى منطقة البلاغة، والأطر الفنية التي يجدها القاص جاهزة بين يديه كثيرة متنوعة، وهو عادة لا يتقيد بإطار معين له حدوده وشروطه، بل يختار من الأطر المعروفة أكثرها ملاءمة للمادة التي بين يديه، وقد يتشابه كاتبان في الإطار العام، إلا أنهما عند التحقيق يختلفان، فلكل كاتب طريقته في اختيار الكلمات وترتيب الجمل وتنسيق الحوادث،¹ ولكن يكون نصب عينه القرآن الكريم؛ النموذج الذي يُتخذى، ويتاح للكاتب "أن يستخدم بعض المحسنات البلاغية، كالتشبيه، والاستعارة، والتورية، وإنما نقول إن هذه المحسنات إن كانت مقصودة لذاتها ولاستعراض قدرة الكاتب على التحليق في آفاق البهرجة اللفظية، فإنها مفسدة للقصة، ودليل إلى أن الكاتب لا يزال يعيش فكرياً في القرون الوسطى؛ أي عندما كان المظهر أهم من الجوهر، والزخارف دليلاً إلى الرقي والعظمة، أما إن كانت هذه المحسنات اللفظية تخدم القصة وتقرب بعض المعاني المجردة إلى أذهان القراء، أو تؤكد بعضها لهدف معين، فإنها عندئذ تكون ضرورة لازمة تضيف على القصة مزيداً من الجمال والأصالة والحيوية"،² ونحن نتفق مع هذا الرأي، حتى لا تصير القصة بهرجة وزخارف، ويُعنى بالشكل من دون المضمون، بل يجب أن يأتي هذا الجانب عفواً الخاطراً، والقرآن الكريم أنموذج واضح للتعامل مع الخطاب الأسلوبي.

ويمكن للناقد أن يتقصى جذور هذا الوعي للأسلوب باعتباره انحرافاً أو خروجاً عن المعيار في تربة الدراسات البلاغية العربية، ويبدو ذلك جلياً في تعبيرات من مثل: أصل المعنى، وأصل الكلام، ومقتضى الحال؛ التي شكلت محكاً فارقاً بين النحويين والبلاغيين، "فإذا كان النحوي يهتم بما يفيد أصل المعنى، فإن البلاغي يبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية؛ يبدأ الخروج عن هذا الأصل، المعيار، النموذج؛ ليحقق بلاغته وشعريته وأدبيته أساساً".³

¹ نجم، محمد يوسف، فن القصة، ص 113-114.

² القباني، حسين، فن كتابة القصة، ص 81-82.

³ عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص 199.

6. رسم شخصياتها:

ينبغي أن يكون بطريقة موحية، لا عملاً آلياً جافاً لا يحرك ساكنًا، ولا تقليدًا أعمى للغرب، فنحن أمة عريقة لها أصالتها وإمكاناتها المتوفرة، ولعل رسم الشخصيات في القرآن الكريم موضعٌ للاستفادة، ويمكن النهل منه، كذلك في قصص الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم، وغيرهم من أولي الأسوة الحسنة، والغدوة، والصلاح.

تُعدُّ الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة؛ منها أن هنالك ميلاً طبيعياً عند كل إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية، فكل منا يميل إلى أن يعرف شيئاً عن عمل العقل الإنساني، وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرف تصرفات معينة في الحياة، كما أن بنا رغبة جموحاً تدعونا إلى دراسة الأخلاق الإنسانية، والعوامل التي تؤثر فيها ومظاهر هذا التأثير.¹

ويقسم النقاد الشخصيات عادة إلى قسمين؛ الشخصيات الرئيسة التي تدور حولها أحداث القصة كلها أو معظمها، والشخصيات الثانوية التي تُسهم في الأحداث والوقائع بأي شكل من الأشكال، ويقسمونها أيضاً إلى: شخصيات إيجابية، وشخصيات سلبية؛ من جهة دورها في الحدث والحركة، وكذا إلى: شخصيات نامية تظهر وتبرز بتطور أحداث القصة، وشخصيات ثابتة لا تتبدل من أول القصة إلى نهايتها.

وسمات الشخصيات في القصص العربية الحديثة التي تظهر في الساحة الأدبية بين حين وآخر؛ لا تكاد تختلف عن مثيلاتها في القصص الأجنبية، اللهم إلا في الأسماء، أما السلوك والمواقف والتصرفات والميول فهي هي، مما يدل على خطورة هذا الانحراف الحضاري الذي أصاب شبابنا وفتياتنا، فهو يدفعهم يوماً بعد يوم نحو مهاوي انحرافات الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي،² وهذه ملاحظات مهمة من دون شك بالنسبة إلى

¹ القباني، فن كتابة القصة، ص 51-52.

² بوزونية، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص 122-123.

الشباب الجديد الذي يُرجى منه كثير، ولكن بحمد الله هناك أسماء لامعة يمكن أن يقتدي بها الشباب، ولا سيما الأسماء المشهورة في مجال كتابة القصة الإسلامية، من مثل: نجيب الكيلاني، وباكتير، وغيرهما.

ويُسدي د. عبد الحميد بوزوينة بعض الملاحظات التي نرى من المهم أن يقتدي بها الجيل الصاعد اليوم، فيقول: "اعتاد أديبنا - على وجه التقليد طبعاً - أن يجعلوا الشخصية الرئيسة بطلاً، لكن الأدهى والأمرُّ أن فكرة البطولة ذات أصول غربية وغريبة في آن واحد؛ أي إن الشخصية إذا أرادت أن تكون بطلاً فما عليها إلا أن تتصرف وتتفوق على غيرها بأي وسيلة من الوسائل من دون النظر إلى نوعيتها صالحة أو طالحة، وكذلك قد يجذب كثير من القاصين لشخصياتهم الرئيسة فضلاً عن الثانوية؛ ميادين الرذيلة والفسق والميوعة والانحلال الخلقي، متخذينها مجالاً لتحليلات البطولة، فيقفون وقفات تصويرية طويلة عند كل رذيلة تواجه إحدى الشخصيات، ليضخموها على أنها قمة الرقي النفسي لها، مع أن الأمر عكس ذلك؛ إذ يجب أن يرفع الأديب الملتزم شخصياته من مستنقعات الأفعال القبيحة، والتصرفات الدنيئة، إلى قمة الاستقامة الأخلاقية، فتصير النفوس مطمئنة، وفي هذا الإطار لا بُدَّ أن يستأنس روحياً بالنصوص الإسلامية الكثيرة، وبخاصة ما يتعلق بأحوال النفس البشرية الثلاثة"¹، ويقصد من هذه النصوص قوله ﷺ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: 53)، وأيضاً: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: 2)، وكذا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ (الفجر: 27).

7. حبكةها:

الحبكة "تسلسل الحوادث الذي يؤدي إلى نتيجة في القصة، ويكون ذلك إما مترتباً على الصراع الوجداني بين الشخصيات، أو تأثير الأحداث الخارجة عن إرادتها"².

¹ المرجع السابق، ص123.

² وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، ط2،

ويرى د. يوسف نجم أن "حبكة القصة هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية، وهي لا تفصل عن الشخصيات إلا فصلاً مصطنعاً مؤقتاً، وذلك لتسهيل الدراسة، فالقاص يعرض علينا شخصياته دائماً وهي متفاعلة مع الحوادث متأثرة بها، ولا يفصلها عنها بوجه من الوجوه"¹.

وهناك "نوعان متميزان للحبكة الأصلية: الحبكة المفككة، والحبكة المتناسكة، وتقوم القصة من النوع الأول على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي لا تكاد ترتبط برابط ما، ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل الحوادث، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة، أو على الشخصية الأولى فيها، أو على النتيجة العامة التي تنجلي عنها الأحداث أخيراً، أو على الفكرة الشاملة التي تنتظم الحوادث والشخصيات جميعاً... كما تعتمد الحبكة على عدة عناصر منها: التوقيت، والإيقاع، والتشويق، فالتوقيت هو سير الحوادث في ببطء أو سرعة، تجتمعها ثم انطلاقها، والإيقاع هو التنويع والتفاوت في درجات الانفعال، ويقدمه القاص لنا على هيئة أمواج تتحرك بنظام خاص لتؤدي إلى تأثير معين يشعر القارئ معه بأن القصة تسير وفق قانون مرسوم، أما عنصر التشويق فهو كل ما يعتمد إليه الكاتب من حيل، وما يعرضه من أشياء في القصة وتطور أحداثها تشد القارئ إليها، ويختلف هذا العنصر باختلاف عرض الكتاب له، ومعالجتهم إياه"².

أما بالنسبة إلى حبكة القصة وطرق عرضها، فللموهبة هنا دور مهم جداً إذا أحسن الكاتب الطريقة المناسبة لموضوعاته التي تنبع من أصلته وروحه الشفافة المبدعة، وهو أدري بما يتلاءم ويتناسب مع موضوعه وهدفه، وينبغي له أن يتذكر أن هذه الأطر الفنية الغربية كانت نتاج تجارب طويلة خاضها هؤلاء، فما يمنح الكاتب المسلم من الإبداع وخوض التجربة ذاتها؟ "إن العجب كل العجب من الكتاب الإسلاميين الذين لا يكلفون أنفسهم شيئاً من العناية لدراسة هذا التراث ومعرفة مضامينه وأساليبه والعيش

¹ نجم، فن القصة، ص 63.

² سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، ص 26-28.

معه وتذوق جمالياته، وينفقون شطراً من العمر مع الأوثان والأساطير؛ إن الأديب المسلم والناقد المسلم حري به أن يُنقّب في هذه الكنوز، ويعود إلى منابع الأولى لتفجر عنده طاقات الإبداع، وتلهمه الأساليب المتميزة التي تصبح سمته وشخصيته، وتعطيه القدرة الواعية على استخلاص كل الخير مما في الشرق أو الغرب".¹

8. الحوار فيها:

يرى بعض النقاد أن الحوار جملة الأحاديث التي تتفوه بها الشخصيات، وقد نقرأ ما يسمى (المناجاة)، وهو الكلام الفردي، والحوار الذاتي الذي تجرّبه الشخصية مع نفسها،² ويُعدُّ الحوار صورة من صور الأسلوب القصصي، بل إنه أحياناً يكون أكثر حيوية من الأسلوب السردى أو الوصفي؛ لذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، فضلاً عن أنه كثيراً ما يكون الحوار السلس المتقن مصدراً من أهم مصادر المتعة في القصة؛ إذ بوساطته تتصل شخصيات القصة بعضها ببعض اتصالاً صريحاً مباشراً، "وقد يُستغل الحوار في تطوير أحداث القصة واستحضار الحلقات المفقودة منها، إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن مشاعر الشخصيات وأحاسيسها وعواطفها المختلفة وشعورها الباطن تجاه الأحداث أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يسمى عادةً ب(البوح) أو (الاعتراف)، ويعتمد الحوار لنجاحه على اندماجه في صلب القصة حتى لا يبين للقارئ عنصراً دخيلاً مقحمًا عليها أو متطفلاً على شخصياتها، كذلك ينبغي أن يكون الحوار طبيعياً سلساً رشيماً مناسباً للشخصيات التي تتحدث به وللمواقف التي يقال فيها، كما ينبغي أن يحتوي على طاقات تمثيلية، ولا يسرف في الهذر والثثرة والإطالة دون حاجة".³

ويُعدُّ الحوار من أهم العناصر التي تتكون منها القصة القصيرة والمطولة بطبيعة الحال، وإذا كان أهم غرض يؤديه الحوار في القصة المطولة هو التعبير عن آراء المؤلف التي

¹ الشنطي، في الأدب الإسلامي، ص32.

² بوزونية، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص124.

³ سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، ص37-38.

يضعها على ألسنة الشخصيات، فإن أهم غرض يؤديه في القصة القصيرة تطوير موضوعها الموصول بها إلى النهاية المنشودة، "فهو يخفف من رتبة السرد، ويريح القارئ من متابعة هذا السرد ويبعد عنه الشعور بالملل، وليس أدل على ذلك من أن كثيراً من القراء يتصفحون القصة، ولا سيما المطولة؛ ليروا نسبة الحوار إلى السرد فيها، فإذا كانت النسبة كبيرة اطمأنوا إلى أنهم سيستمعون بقراءة رواية مشوقة، كما يساعد على رسم شخصيات القصة؛ لأن الشخصية لا يمكن أن تبدو كاملة الوضوح والحيوية إلا إذا سمعها القارئ وهي تتحدث، ويساعد أيضاً على تصوير موقف معين في القصة، أو صراع عاطفي، أو حالة نفسية مثل الخوف أو الكبت أو الغيرة أو التردد أو الوفاء أو حدة الطبع أو الشجاعة أو الجبن، وما إلى هذا كله من مختلف الحالات النفسية التي تكون عليها الشخصية في ظروف معينة، ويضفي الحوار على القصة تلك اللمسة الحية التي تجعلها تبدو أكثر واقعية في نظر القارئ".¹

9. أحداثها وحركتها:

الحدث اقتران فعل بزمان، وهو لازم في القصة؛ لأنها لا تقوم إلا به، ويستطيع القاص إذا أراد أن يكتفي بعرض الحدث نفسه من دون مقدماته أو نتائجه كما في القصة القصيرة، أو قد يعرض هذا الحدث متطوراً مفصلاً مثلاً في القصة الطويلة أو الرواية، وتتفاوت القصص في بيان هذا العنصر، فمنها ما يهتم بالحدث ويؤثر في غيره ويفتق في عرضه في صورة مشوقة، وتكون الأحداث كبيرة هائلة أو هادئة يسيرة تسري في القصة مسرى النسيم تنتظم أجزاءها، وتنفذ في لطف وتشويق،² وهذا العنصر من العناصر المهمة في القصة؛ إذ يُبيّن فعاليات شخصيات القصة؛ لذا لا يتحقق ظهور الشخصية أو شعورها بوجودها في المجال القصصي؛ إلا بشيئين: الحوار والحركة.

¹ القباني، فن كتابة القصة، ص 94-95.

² المرجع السابق، ص 11.

إن قدرة القاص الفنية وتمثُّسه الطويل شرطان أساسان في تحريك الأحداث؛ لتظهر أمامنا طبيعية لا تكلف فيها، وواقعية تُدكرنا بظرف من ظروف حياتنا.¹

لا شك في أن تطوير الحوادث يبعث في القصة القوة والحركة والنشاط، وهو العصا السحرية التي تحرك الشخصيات على صفحات القصة، وتسوق الأحداث تباغاً حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة التي تطمئن إليها نفس القارئ بعد طول التجوال، والتي تتفق مع منطق الكاتب، ونظرته إلى الحياة.²

ويرى تشارلتن "أنه لما كانت القصة الطويلة هي الفرصة السانحة لعرض الفعل بكل أجزائه ودقائقه كان الكاتب القصصي أسرع وأجود، وكانت قصته أروع حقاً كلما استطاع استغلال هذه الفرصة السانحة... إن بعض كتّاب القصة المعاصرين راحوا يمشدون حوادث القصة في خلط وفوضى لتجيء قصصهم مطابقة للحياة؛ لأن حوادث الحياة لا تسير على نظام معلوم، تراهم لا يجعلون لقصصهم بداية ولا نهاية؛ لأن الحياة لا تبدأ عند نقطة وتنتهي عند أخرى، ولا بُدَّ أن يصوروا الواقع في قصصهم، فيضعون حقيقة إثر حقيقة لا تربطهما صلة؛ لأن حقائق الحياة تتتابع على هذا النحو بغير صلة لازمة بين السابق واللاحق".³

خاتمة

يتبين لنا على ضوء ما قدمنا أن ربط القصة العربية الحديثة بالإطار الإسلامي ليست عملاً مستحيلاً، كما اقتنع بعض الأدباء والنقاد، وتحفظ آخرون، وليس كما ظنَّ بعضهم أن الإطار الإسلامي في القصة العربية الحديثة سيحولها إلى وعظ وإرشاد، فقد اتضح تماماً أن لهذا الربط قيمته ومكانته؛ إذ يساعد في إصلاح المجتمع الإسلامي وبنائه

¹ بوزونية، نظرية الأدب في ضوء الإسلام، ص 124.

² نجم، فن القصة، ص 31.

³ تشارلتن، فنون الأدب، ترجمة زكي نجيب محمود، (القاهرة: ط 1، د.ت)، ص 142.

- وتطوره، ونذكر هنا النتائج الآتية:
- تصحيح النظرة الخاطئة أن القصة العربية الحديثة ستتحوّل إلى وعظ وإرشاد إذا تعاملت مع المنظور الإسلامي.
 - فنون القصة العربية الحديثة يمكن أن تتقبل الإطار الإسلامي وتتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً.
 - استخدام المنظور الإسلامي في القصة العربية الحديثة يساعد في بناء المجتمعات العربية وإصلاحها؛ لأن الإسلام دين ودولة.

References:

المراجع:

- Abū al-Riḍā, Sa'ad, *al-Adab al-Islāmī Qaḍīyyah wa Binā'*, (Jeddah: Ālam al-Ma'rifa, 1st Edition, 1983).
- Abū Zayd, Aḥmad, "al-Hujūm 'alā al-Islām fī al-Riwāyāt al-Adabīyyah", *Rabīṭah al-Ālam al-Islāmī*, (Issue 49-50, 1995).
- Al-Kīlānī, Najīb, *Ḥawla al-Qiṣṣah al-Islāmīyyah*, (Beirut: Mu'assah al-Risālah, 1992).
- Al-Kīlānī, Najīb, *'Umar Yazhar fī al-Quds*, (Beirut: Mu'assah al-Risālah, no date).
- Al-Khunayn, Nāsir, *al-Iltizām al-Islāmī fī al-Shi'r*, (Riyadh: Dār al-Aṣalah li al-Thaqāfah wa al-Nashr wa al-I'lām, 1st Edition, 1987).
- Al-Mawḍūdī, Abū al-A'lā, *Mabādi' al-Islām*, (Beirut: Mu'assah al-Risālah, 1975).
- Al-'Ajlūnī, Ismā'il, *Kashf al-Khaḍā' wa Mazāl al-Ilbās*, (Maktabah Ḥusām al-Dīn al-Muqaddasī, 1933).
- Al-Qabānī, Ḥusayn, *Fann Kitābah al-Qiṣṣah*, (Oman: Maktabah al-Muḥtasib, 2nd Edition, 1974).
- Al-Qayrawānī, Ibn Rashīq, *al-'Amadah fī Maḥāsīn al-Shi'r wa Ādābihi wa Naqḍihi*, ed. Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Hamīd, (Cairo: Maṭba'ah al-Sa'ādah, 2nd Edition, 1955).
- Al-Shanṭī, Muḥammad Ṣalīḥ, *Fī al-Adab al-Islāmī Qaḍāyāhu wa Funūnuhu wa Namādhij minhu*, (Ha'il: Dār al-Andalus li Nashr wa al-Tawzī', 2nd Edition, 1997).
- Al-Zubaydī, Tāj al-'Arūs min Jawāhir al-Qāmus, (Beirut: Dār al-Maktabah al-Ḥayah, no date).
- Awaḍ, Louis, *al-Ishṭirākīyyah wa al-Adab*, (Beirut: Mansūrāt al-Ādāb, 1st Edition, 1963).
- Barīghash, Muḥammad Ḥassan, *Dirāsāt fī al-Qiṣṣah al-Islāmīyyah al-Mu'āṣirah*, (Beirut: Mu'assah al-Risālah, 1st Edition, 1994).
- Barīghash, Muḥammad Ḥassan, *Fī al-Adab al-Islāmī al-Mu'āṣir; Dirāsah wa Taṭbīq*, (Zarqa: Maktabah al-Manār, 2nd Edition, 1985).

- Būzwaynah, 'Abd al-Hamīd, *Naẓariyyah al-Adab fī Daw' al-Islām*, (Amman: Dār al-Bashīr, 1st Edition, 1990).
- Faḍl, Salāh, *Balāghah al-Khiṭāb wa 'Ilm al-Naṣṣ*, (Cairo: Dār al-Ma'rifah, 1st Edition, 1994).
- H. B.Charlton, *Funūn al-Adab*, translated by Zakī Najīb Maḥmūd, (Cairo: 1st Edition).
- Hilāl, Muḥammad Ghunaymī, *al-Madkhal ilā al-Naqd al-Ḥadīth*, (Cairo: 1958).
- Hilāl, Muḥammad Ghunaymī, *al-Naqd al-Adabī al-Ḥadīth*, (Cairo: Dār al-Nahḍah Miṣr li al-Ṭab', no date).
- Ibn Manzūr, Lisān al-'Arab, (Beirut: Dār Sādir, no date).
- Khafājah, Muḥammad 'Abd Mun'im, *al-Naqd al-'Arabī al-Ḥadīth wa Madhāhibuhu*, (Cairo: Maṭba'ah al-Fujālah al-Jadīdah, 1975).
- 'Abd al-Muṭallib, Muḥammad, *al-Balāghah al-Uslūbiyyah*, (Cairo: al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah li al-Kitāb, 1984).
- Najm, Muḥammad Yūsuf, *Fann al-Qiṣṣah*, (Beirut: Dār al-Thaqāfah, no date).
- Salām, Muḥammad Zaghlūl, *Dirāsāt fī al-Qiṣṣah al-'Arabīyyah al-Ḥadīthah Usūluhā wa Ittijāhātuha wa A'lāmuha*, (Alexandria: Munsha'ah al-Ma'ārif, 1973).
- Ṭabānah, Badwī, *Qaḍāyā al-Naqd al-Adabī*, (al-Maṭba'ah al-Fanniyyah al-Ḥadīthah, 1971).
- Wahbah, Majdī; *al-Muhanddīs Kāmil, Mu'jam al-Muṣṭahāt al-'Arabīyyah fī al-Lughah wa al-Adab*, (Beirut: Maktabah al-Lubnān, 1984).